الكواكب والنجوم ودلالتها في الشعر الاموي
جرير والاخطل – انموذجاً

م.م ديلم كاظم سهيل
رئاسة جامعة بغداد

المقدمة

علاقة الانسان بحركة النجوم ومواقعها في السماء علاقة ازلية تمتد جذورها منذ ان وجد الانسان على ظهر الارض حتى يومنا هذا فحركة النجوم وظهورها في السماء لفتت انتباه الانسان وجعلته ينظر لها نظرة خوف ورهبة ففي العصر الجاهلي تبلورت نظرة الانسان الى النجوم والكواكب بالفكرة الدينية والديانة الجاهلية فكان منهم عباد الشمس يسجدون لها اذا اشرقت واذا توسطت السماء واذا اغربت، وقد عبدتها ثمود ثم عبدتها تميم وعبدها عرب من حمير قبل ان يتهودها ومنهم بلقيس(١) [وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله] (٢) وبعض قبائل كنانة عبدت القمر وعبدت الدبران وعبدت لخم وجذام المشتري وعبدت طيء سهيلا وعبدت قيس الشعرى والعبور وعبدت اسد عطارد ومن عباد الكواكب الصابئة وهم يعتقدون في الانواء اعتقاد المنجمين في السيارات فلا يتحركون ولا يسكنون ولا يسافرون ولا يقيمون الا بها(٣) .

(١)الحياة العربية من الشعر الجاهلي /ص٤٢١
(٢)سورة النمل/٢٤
(٣) الحياة العربية من الشعر الجاهلي/ص٤٢١

وجاء الاسلام ونسخت امور وتغيرت احوال ونزل القرآن الكريم وهو دستور المسلمين الذي اشار الى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمسلمين وورد ذكر لفظة نجم في القرآن الكريم اربع مرات ولفظة نجوم عشر مرات[١] وسميت سورة في القرآن الكريم بسورة (النجم) ودلت هذه اللفظة في كل هذه الآيات على قدرة الله(عز وجل) وتدبره في هذا الكون الواسع ودليل على حكمته التي صنع بها العجائب وخلق بها الكوكب وجعلها نجوما وبروجا ومصابيح وزينة ورجوما، وجعل لها مشارق ومغارب وجعل لها مطالع ومجاري وجعل لها فلكا" ومسابح وقدرها في السماء منازل فأحسن تقديرها وصورها فاحسن تصويرها وسخرها بسلطان الليل وسلطان النهار والساعات وعدد السنين والحساب ، وجعل رؤيتها لجميع الناس مرأى واحد.

وبعد هذا التحول في المفاهيم الدينية وتصوير المظاهر الطبيعية تصورا جديدا اصبحت علاقة الانسان بالنجوم علم قائم بذاته وموضوعاته اكثر من ان تعد وتحصى ومن نتائجه التنبؤء

بالمستقبل تفاؤلا وتشاؤما ومنها بناء المدن واقربها الذلك بغداد عاصمة العباسيين[٢]

---

[١] المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم ، ٨٦١

[٢] نهاية الارب في فنون الادب / ص ٣٨.

وقد فصل القدماء في هذه الكواكب وفي اسمائها التي كانت عندهم مشتقة من صفاتها فقالوا في زحل:

زحل فلان اذا ابطأ وبذلك سمي هذا الكوكب لبطئه في السماء وقيل الزحل والزحيل الحقد وهو في طبعه وهذا الكوكب عند المفسرين هو المعنى بقوله تعالى((والسماء والطارق، وما ادراك ماالطارق، النجم الثاقب)) .[١]

وقالوا في المشتري: انه انما سمي بذلك لحسنه، كانه اشترى الحسن لنفسه، وقيل لانه نجم الشراء والبيع، ودليل الاموال والارباح.

وقالوا في المريخ : انه مأخوذ من المرخ (وهو شجر تحتك بعض اغصانه ببعض فتوري نارا) فسمي بذلك لاحمراره، وقال اخرون المريخ سهم لا ريش له اذا رمي به لا يستمر في ممره وكذلك المريخ فيه التواء كثير في سيره وحكمه ، فشبه بذلك.

وقالوا في الشمس انها لما كانت واسطة بين ثلاثة كواكب علوية وثلاثة سفلية ،سميت بذلك.

وقالوا في الزهرة: انها مشتقة من الزاهر وهو الابيض النير من كل شيء.

وقالوا في عطارد: انه النافذ في الامور، ولهذا سمي بالكاتب، وهكذا هذا الكوكب كثير التصرف مع ما يلابسه وما يقارنه.

وقالوا في القمر: انه مأخوذ من القمرة وهي البياض والاقمر الابيض.[٢]

واختص كل كوكب من هذه الكواكب بقول يشكل عالما متكاملا للصور الشعرية وفي مختلف الاغراض الشعرية وفي الحديث الشريف ما يوضح القول في ماهية النجوم

[١]سورة الطارق، الآيات (١،٢،٣)

[٢]نهاية الارب في فنون الادب/ص٣٩

قال رسول الله (ص) [خلق الله هذه النجوم لثلاث :زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ واضاع نصيبه وكلف ما لاعلم له به. [١]

وبعد هذا فان النجوم والكواكب واسمائها شكلت رافدا شعريا استلهم منه الشعراء الكثير من الصور الجميلة وفي مختلف الاغراض الشعرية وجاء تركيز الشعراء على بعض النجوم دون غيرها لأ رتباطها بزمان ومكان يثير في نفوسهم الشوق والحنين والذكرى فيقولون متغزلين او واصفين او مفتخرين جاعلين من اسماء النجوم وصفاتها المحور الذي تدور حوله صورهم الشعرية فجاء ذكر الشمس والقمر والجوزاء والفرقد وسهيل والشعرى العبور والثريا وبنات نعش وغيرها.

وفي بحثي هذا اعتمدت على اثنين من فحول الشعر الاموي انموذجا لهذه الظاهرة وهما جرير والاخطل.

كانت النجوم ومواقعها وطلوعها مشهد من مشاهد تصوير الشاعر لرحلته الشاقة في الصحراء لذلك فان مقدمات القصائد التي ضمت في لوحاتها حديث الشاعر عن رحلته قد زخرت باسماء النجوم ودلالتها التي كانت المحور الرئيس للصورة الشعرية هذه الصورة التي تشير النملذج الشعرية الى انها صورة خالية من الخيال بانواعه المختلفة من تشبيه واستعارة . . . . . .الخ فهي صورة تقوم على اسس تقريرية لا اساس للخيال فيها.[٢]

---

[١] صحيح البخاري.

[٢] الصورة الفنية في شعر محمود درويش/ص١٢،١٣

فالشاعر في مشهد الرحلة يعتمد على التصوير الحقيقي في تجسيد المعاناة التي يتحدث عنها فيصور شدة الحر واهوال الطريق مع ناقته وصولا الى الغرض الرئيس

فكانت جوزاء الصبح وهي نجمة الصبح و طلوعها يعني احتدام النهار وشدته من اكثر النجوم التي ورد ذكرها في مقدمات القصائد التي كانت تصور رحلة الشاعر وفيها يقول جرير:

فكلفت النواعج كل يوم   من الجوزاء يلتهب التهابا[١]

وقوله:

ويوم من الجوزاء مستوقد الحصى   تكاد صياصي العين منه تصيح
شديد اللظى حلمى الوديقة ريحه   اشد اذى من شمسه تصبح[٢]

وقوله :

فمن راقب الجوزاء او بات ليله   طويلا فليلي بالمجازة اطول[٣]

وقوله :

ابيتُ الليل ارقب كل نجم   مكابدة لهمي واحتماما[٤]

---

[١]شرح ديوان جرير، ص ٢٢
[٢]المصدر نفسه، ص ١٠٨
[٣]المصدر نفسه ،٤٥٥ ، المجازة : في طريق البصرة
[٤]المصدر نفسه ، ٥٠٤ ، احتماما : من الحمى لان صاحبها لا ينام

الا نرى انه لا اثر للخيال في هذه اللوحات الشعرية ، فهي خالية من الوسائل التي يعتمد عليها الشعراء في تشكيل صورهم الشعرية اللهم الا الرمز الى السهر والارق بمراقبة النجوم .

كذلك ورد ذكر الشعرى العبور في رسم لوحة المقدمات الطللية والشعرى العبور كوكب يطلع بعد الجوزاء وطلوعه يكون في شدة الحر ايضا.

وفيها يقول الاخطل:

وقد غابت الشعرى العبور وقاربت

لتنزل، والشعرى بطيء نزولها[١]

وكما نرى فان الصور المرسومة في هذه المقدمات هي صور شعرية رائعة تصلح لان تكون لوحة مرسومة يجسد فيها الشاعر كل المشاهد التي تعرض لها اثناء رحلته كما يظهر لنا من من خلال هذه النماذج علاقة التلازم بين لفظ النجم وتصوير شدة الحر ، هذا التصوير الذي يركن اليه الشاعر لرسم صورة محسوسة عن معاناته وسفره ثم وصولا الى الغرض الرئيس.

واذا ارتكز الشعراء على المعنى الحقيقي للنجوم ووقت طلوعها في تصوير مشاهد الرحلة تصويرا محسوسا في مقدمات القصائد بانواعها فأن المعنى المجازي اتخذ عنقودا من الصور الشعرية الجميلة التي كانت النجوم ودلالتها المحور الذي تدور عليه وفي مختلف الاغراض الشعرية .

[١]شعر الاخطل ، ص ٦١٢

ويظهر من استقراء النماذج الشعرية علاقة التلازم بين النجوم ومشاعر الحزن والارق والاشتياق وبث الشكوى المرتبطة بعاطفة خالدة على مر العصور فالحزن على من لاعودة له في مراثي الشعراء والحزن على فراق الاحبة في غزلهم ليس يحويه الا الليل، فالليل مستودع الهموم فلا يملك الشاعر الا ان يبوح بمكنوناته لنجوم الليل فهي التي تنصت له عندما يبوح لها.

فهذا جرير يقول راثيا:

ارعى النجوم وقد مضت غورية

عصب النجوم كأنهن صوار [(١)]

فالبيت يوحي بمدى الحزن والارق اللذين وصل اليهما الشاعر كما يوحي الفعل (ارعى)باستمرارية الحزن لدى الشاعرفهو مايزال ينظر الى تلك النجوم الى ان اخذت نحو الغروب والسقوط وكأنها قطيع من بقر الوحش الابيض، فجاء اختيار الفعل والوقت اختيارا" ملائما جعل من النجوم المحور الاساس للصورة الشعرية.

وقوله :

اتى دون هذا الهم هم فاسهرا   أراعي نجوما تاليات ٍ وغورا [(٢)]

اقول لها من ليلة ليس طولها   كطول الليالي ليت صبحك نورا

[(١)]شرح ديوان جرير، ص٢٠٠ غورية:النجوم التي تأخذ نحو الغروب والسقوط. عصب النجوم:فرقها، صوار :قطيع من بقر الوحش.

[(٢)]المصدر نفسه ،ص ٢٤٠

وكذلك قوله :

سرت الهموم مع النجوم فكلفت

حاجا يكلفه السمام الضمر[١]

ولم يكتف الشاعر بان يبث شكواه للنجوم او يجعلها ملازمة لأرقه وهمومه بل استعار منها كل صفاتها التي هي غاية الفخر والسمو ٠

وهنا يقول جريرمفتخرا:

انا البدر يعشى طرف عينيك فلتمس

يكفيك يا بن القين هل انت نائله[٢]

فقد اضفى صفات البدر جميعها لنفسه عندما استخدم (أنا) الذاتية وهنا ركز الشاعر على المعنى الحقيقي للبدر، ولايخفى بان منزلة البدر وعلوه مدعاة للفخر وان استعارة هذه الصفات واضفائها على الذات من اقوى معاني الفخر.

اما الثريا وسهيل فكثيرا ما يردان في قصائد الشعراء فقد اهتم الشعراء بهذين النجمين أهتماما خاصا،فالثريا ستة نجوم تصير في الشتاء في كبد السماء والاسم مشتق من الثروة وهي كثرة العدد ،اما سهيل فهو نجم احمر متفرد من النجوم

[١]المصدر نفسه، ص١٩٧،السمام:من الطير شبه الابل بها لسرعتها
[٢]شرح ديوان جرير، ص٤٨٢

اليمانيـة يـرى فـي جميـع بـلاد العـرب ،ولـذلك قـال عبـد الله بـن عبـاس لـبعض اليمانية:((لكم من السماء نجمها ،ومن الكعبة ركنها ،ومن السيوف صميمها)) [1]،

وفيها يقول جرير:

اذا ألى النجوم بدتْ فغارتْ   وقلت أنى من الليل انتصاف
حسبت النوم طار مع الثريا   وما غلظ الفراش، ولا اللحاف[2]

وقول الاخطل :
إخسأ ، اليك جريرُ إنا معشر   نلنا السماء ، نجومها وهلالها[3]
وبعد هذا العرض ليس لنا الا ان نقول:

١–ان الكواكب والنجوم شكلت رافدا شعريا ورمزا لا يستغني عنه الشاعر كما ان دلالة هذه اللفظة اتخذت لها موقعا متميزا للعديد من الصور الشعرية فقد ورد ذكر الشمس والقمر والنجوم والجوزاء والعبور والسعدين والثريا والفرقد وسهيل والسماك في مختلف الاغراض الشعرية.

---

[1] الكامل في اللغة والادب ،ص٤٠
[2] شرح ديوان جرير ،ص٣٨١
[3] شعر الاخطل ،ص ٦٨٨

٢-ان بعض اسماء النجوم وردت دون غيرها عند الشعراء لأنها تمثل دلالات مختلفة في مخيلتهم كذكرهم للجوزاء والشعرى العبور في مقدماتهم الشعرية واستخدامهم للنجم سهيل والثريا في الاغراض الشعرية. ولاسيما الغزل والفخر والرثاء والهجاء .

٣- شكلت الكواكب والنجوم وصفاتها مستوى رمزي حيث انتجت مدلولا ادبيا جديدا ، بمعنى اخر اصبحت هذه اللفظة تشكل رمزاً عند الشعراء لان تكرار هذا اللفظ في اطار الصور الشعرية المختلفة بمعناه الحقيقي والمجازي جعله يرتبط بذهن الشاعر بمعنى محدد يدل على الارق والحزن والسهر وهي معاني ارتبطت بالنجوم ودلالتها .

ويمكن اعطاء الدلالات الشعرية التي تكون الكواكب والنجوم رمزا لها الترسيمة التالية :

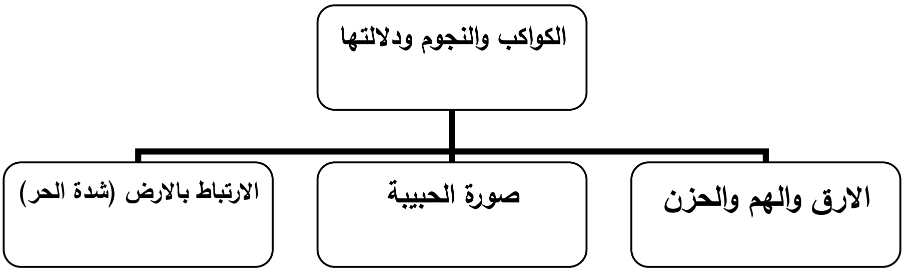

قائمة المصادر:

١–القران الكريم.
٢–الاغتراب في الشعر الاموي ،د. فاطمة حميد السويدي ،مكتبة مدبولي ،ط١ ، ١٩٩٧
٣–الحياة العربية من الشعر الجاهلي ،د.احمد محمد الحوفي دار نهضة مصر للطبع والنشر ،القاهرة .١٩٧٢
٤–الصورة الفنية في شعر محمود درويش ،د.عاطف ابو حمادة ،الاتحاد العام للمراكز الثقافية/غزة ،١٩٩٨
٥–المخصص ،تأليف ابي الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي المعروف بابن سيدة ،ت ٤٥٨/ج٢/بيروت
٦–المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم/محمدفؤاد عبد الباقي/مطبعة ظهور/ط ٣
٧–شرح ديوان جرير ،تأليف محمد اسماعيل عبد الله الصاوي مكتبة دار الثقافة العربية.
٨–شعر الاخطل ،تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ،ج ٢
٩–نهاية الارب في فنون الادب ،النويري شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (٦٧٧–٧٣٣ هـ) ،نسخة مصورة عن دار الكتب المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر– القاهرة (د.ت)